تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عن الأزواج والأولاد أن منهم من هو عدو الزوج والوالد بمعنى أنه يلتهي به عن العمل الصالح كقوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر ا ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون } ولهذا قال تعالى ههنا : { فاحذروهم } قال ابن زيد : يعني على دينكم وقال مجاهد { إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم } قال : يحمل الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا محمد بن خلف الصيدلاني حدثنا الفريابي حدثنا إسرائيل حدثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه الاية { يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم } قال : فهؤلاء رجال أسلموا من مكة فأرادوا أن يأتوا رسول ا صلى ا عليه وسلّم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم فلما أتوا رسول ا رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوهم فأنزل ا تعالى هذه الاية { وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن ا غفور رحيم } وكذا رواه الترمذي عن محمد بن يحيى عن الفريابي وهو محمد بن يوسف به وقال حسن صحيح ورواه ابن جرير والطبراني من حديث إسرائيل به وروي من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه وهكذا قال عكرمة مولاه سواء .

وقوله تعالى : { إنما أموالكم وأولادكم فتنة وا عنده أجر عظيم } يقول تعالى : إنما الأموال والأولاد فتنة أي اختبار وابتلاء من ا تعالى لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه وقوله تعالى : { وا عنده } أي يوم القيامة { أجر عظيم } كما قال تعالى : { زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا وا عنده حسن المآب } والتي بعدها وقال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين بن واقد حدثني عبد ا بن بريدة : سمعت أبا بريدة يقول : كان رسول ا صلى ا عليه وسلّم يخطب فجاء الحسن والحسين Bهما عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول ا صلى ا عليه وسلّم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال : [صدق ا ورسوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما] ورواه أهل السنن من حديث حسين بن واقد به وقال الترمذي : حسن غريب إنما نعرفه من حديثه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سريج بن النعمان حدثنا هشيم أخبرنا مجالد عن الشعبي حدثنا الأشعث بن قيس قال : قدمت على رسول ا صلى ا عليه وسلّم في وفد كندة فقال لي : [هل لك من ولد ؟] قلت : غلام ولد لي في مخرجي إليك من ابنة حمد ولوددت أن بمكانه سبع القوم

فقال لي : [لا تقولن ذلك فإن فيهم قرة عين وأجرا إذا قبضوا] ثم قال : [ولئن قلت ذاك إنهم لمجبنة محزنة] تفرد به أحمد وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمود بن بكر حدثنا أبي عن عيسى عن ابن أبي ليلى عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [الولد ثمرة القلوب وإنهم مجبنة مبخلة محزنة] ثم قال : لا نعرفه إلا بهذا الإسناد وقال الطبراني : حدثنا هاشم بن مزيد حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : [ليس عدوك الذي إن قتلته كان فوزا لك وإن قتلك دخلت الجنة ولكن الذي لعله عدو لك ولدك الذي خرج من صلبك ثم أعدى عدو لك مالك الذي ملكت يمينك] .

وقوله تعالى : { فاتقوا ا ما استطعتم } أي جهدكم وطاقتكم كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة Bه قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه] وقد قال بعض المفسرين كما رواه مالك عن زيد بن أسلم إن هذه الاية ناسخة للتي في آل عمران وهي قوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا اتقوا ا حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون } قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثني يحيى بن عبد ا بن بكير حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء هو ابن دينار عن سعيد بن جبير في قوله : { اتقوا ا حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون } قال : لما نزلت هذه الاية اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم فأنزل ا تعالى هذه الاية تخفيفا على المسلمين { فاتقوا ا ما استطعتم } فنسخت الاية الأولى وروي عن أبي العالية وزيد بن أسلم وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقوله تعالى : { واسمعوا وأطيعوا } أي كونوا منقادين لما يأمركم ا به ورسوله ولا تحيدوا عنه يمنة ولا يسرة ولا تقدموا بين يدي ا ورسوله ولا تتخلفوا عما به أمرتم ولا تركبوا ما عنه زجرتم .

وقوله تعالى : { وأنفقوا خيرا لأنفسكم } أي وابذلوا مما رزقكم ا على الأقارب والفقراء والمساكين وذوي الحاجات وأحسنوا إلى خلق ا كما أحسن ا إليكم يكن خيرا لكم في الدنيا والاخرة وإن لا تفعلوا يكن شرا لكم في الدنيا والاخرة وقوله تعالى : { ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون } تقدم تفسيره في سورة الحشر وذكر الأحاديث الواردة في معنى هذه الاية بما أغنى عن إعادته ههنا و الحمد والمنة وقوله تعالى : { إن تقرضوا ا قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم } أي مهما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاؤه ونزل ذلك منزلة القرض له كما ثبت في الصحيحين أن ا تعالى يقول : من يقرض غير ظلوم ولا عديم ولهذا قال تعالى يضاعفه لكم كما تقدم في سورة البقرة { فيضاعفه له أضعافا كثيرة } { ويغفر لكم } أي ويكفر عنكم السيئات ولهذا قال تعالى : { وا شكور } أي يجزي على القليل بالكثير { حليم } أي يصفح ويغفر ويستر ويتجاوز عن الذنوب والزلات

والخطايا والسيئات { عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم } تقدم تفسيره غير مرة آخر تفسير سورة التغابن و الحمد والمنة